الشخصـ ـية

هي عند السيكولوجية القديمة صفة جوهرية تقوم عليها الحياة النفسية بأسرها وهـو تفسير بسيط. أما الآن فالعلماء يرونا أعقد من ذلك بكثير ويهدى البحث في مسألتها إلى أنا نتيجة لتعقيد كبير يشمل نواحي الفرد المختلفة الجسيمة والنفسية والاجتماعية.

مم تتكون الشخصية:

ا-الشخصية ليست بسيطة: قبل أن نجيب على هذا السؤال يجـب اعتبـار بعـض الملاحظات. فالشخصية مثلاً ليست بدائية أو بسيطة لأنه في حالة البساطة لا تتكون للفرد " قدرة التركيب " أو قوة الإنشاء التي يربط با بين الظاهرات ويرتب المقـدمات ويتنبـأ بالنتائج لأن حالة البساطة هي حالة ما قبل الشعور وهي تتجلى بوضوح فيمـا بلابـس الطفل من شرود الذهن والعجز عن حصر الانتباه وعدم القدرة على تنظيم المحفوظات أو توجيه الإرادة، وفي حالة البساطة أيضاً قد لا يميز الفرد بين شخصه وبين الأشياء فالبنـت الصغيرة قد تضرب عروستها لذنب اقترفته هي. والرجل الهمجي يحرق صـورة عـدوه اعتقاداً منه أنه يحترق لاحتراقها، ثم أن الفرد في حالته الأولى لا يتميز عن الجماعة التي هو فيها فهو يفكر بفكرها ويشعر بشعورها ويعمل مؤتمرا بأمرها لا فارق بـين هـذا وذاك وجميع ذلك يمنع من ظهور الشخصية وتبلورها.

ب- تكوين"الأنا " وإحساس الفرد بنفسه الذي يعبر عنه بقوله " أنا " يحـس بـه تدريجياً مع إحساسنا بالعالم الخارجي ويكون ذلك على درجتين

(1)الأنا الجسماني: ويبدأ عندما يأخذ الفرد في التمييز بين الجسم والعـالم المـادي فيعرف أن له أنا ماديا يختلف عن الأشياء لما يرى جسمه ملتصقاً بشيء من الأشياء المادية ويلاحظ الفروق التي بينهما وما يعين على ذلك أن إحساسنا بالصفات الجسمية ثابت بما يجعل للجسم في مجال الشعور مكانا خاصاً يدل عليه، وتلعـب الاحـساسات الباطنيـة والاحساسات الحركية دوراً هاماً في التعريف بذلك الجانب المادي من الشخصية.

(2)الأنا الروحاني: والخطوة التي تتلو ذلك هي أن يميز الإنسان شخـصية داخليـة ويميزها عن جسمه على اعتبار أن هذا الجسم شيء خارجي. ومـا يمهـد إلى ذلـك أن

الشخصية. بجسمنا يضغط علينا كما في أحوال الألم المادي كأنه شيء خارجي تماماً حتى أننا نقول " يؤلمني جسمي " فنميز بين الجسم الذي يؤلم والأنا الذي يتألم، وكذلك فـأن الاحساسات الباطنية تدرك كان لها امتداداً وهذا يجعلنا نضعها بين الأشياء التي توجـد في المكان والامتداد فتتميز بذلك عما ليس له امتداد وهو جوهر الفكر، وهذا أسلوب فلسفي في الفحص عن حقيقة النفس لجأ إليه ديكارت عندما كان يحاول معرفة نفسه، فالجـسم والنفس هما مجمل الشخصية الإنسانية.

فكرة الأنا والعواطف الشخصية:

الشخصية تطلق على أفكار وعواطف كثيرة يجب أن نحللها ونعرفها

أ-صفات الأنا: صفتا الأنا اللازمتان هما الوحدة والذاتية ومعنى الوحدة أنه مهمـا كانت العواطف والأفكار والرادات والاحساسات التي نحسها مختلفة فأننا نردها إلى وحدة واحدة، وتفسير الذاتية أنه مهما كانت الحالات التي تطرأ على هذه الوحدة متباينة كثيرة فهي تبقى محتفظة بذاتا أي تبقى هي فالفرد السليم يعلم تمام العلم أنـه هـو في أطـوار الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة وأنه في أحوال الفرح والحزن والنجاح والفـشل والصحة والمرض إلى غير ذلك مما لا يحصره عد. و ليلاحظ هنا – تأييداً لما قلنـاه – أن الوحدة والذاتية من الخواص التي يخطى البدائي في تميزها فهما تلازمان حالة هـي أرقـى بكثير من حالة البساطة.

ب-العواطف الشخصية: والعواطف ليست بدايات بسيطة ولكنها نايات معقـدة فالأنانية والشعور بالجدارة وحب الاستقلال والميل للتحكم عواطف ظهـرت بـصورها الحديثة بعد تقدم اجتماعي كبير، وهي ترجع إلى ميول بدائية تبدو في محاولـة الامتيـاز بشيء. فالطفل يعنى أول شيء بقوة جسمه ليتفوق في المغالبة أو اللعب ثم يوجه عنايته نحو الزى والهندام ثم يفاخر بالأثاث حتى ينتهي إلى المباهاة بالمواهب العقليـة وجميـع هـذه العواطف لا تعيش إلا في التمعات الراقية بعد أن تكون عرضة لتطورات طويلـة لأن في التمعات الساذجة الفرد جزء غير متميز من الجماعة فلا يرغب في الاستقلال ولا يميل إلى السلطان والتحكم وقد يقال أن عاطفة الملكية طبيعية جداً ولكن الملكية ذاتا لا توجد إلا في التمعات بعد أن يطرأ عليها تطور كبير.

أمراض الشخصية

وذاتية الشخص أو الشعور بأنا هي لم تتغير رغماً عما يمر با مـن تغـير عرضـة لاضطرا بات نذكر فيما يلي بعض أحوالها.

(1) حالة يحس فيها المريض بمرضه ويعيه بشعوره وقد قسمها الدكتور جانية إلى ثلاث أنواع:

حالة يحس فيها المريض بغرابة شخصيته فيخيل إليه مثلاً أنه مضحك مـنحط زري، وأخرى يحس فيها بتضاعف شخصيته فيخيل إليه أنه شخصان متمايزان، وثالثة يحس فيها المريض بأنه فقد شخصيته فيسأل من أنا أو يخيل إليه أنه مات.

ويدخل تحت هذه الحالة ما يعرف بجنون العظمة فهنا يعتقد المريض أنه ملك عظيم أو قائد كبير وتصدر عنه أفعال وإشارات تعبر عما يقوم بنفسه من اعتقاد فإذا سئل عـن مهنته مثلاً أجاب بالحق والواقع فيقول نجارا أو تاجرا الخ. فهذه الشخـصية منفـصلة إلى أجزاء مستقلة يعمل كل في زائراته

(2) حالة أخرى يوجد فيها جزء من الحياة النفسية مستقلاً عن بقية النفس ولا يعيه الـشعور الطبيعي.

ومن ذلك انقسام الشخصية كما حدث لفتاة فقدت شعورها ولما أفاقـت نـسيت ماضيها ثم فقدت شعورها ثانيا ولما أفاقت عادت ذكرياتا القديمة ولكنها نسيت ما بـين حالتي فقدان الشعور الأولى والثانية وعادت على ذلك فهنا انقسمت الشخصية إلى حالتين لابستها كل منهما زمنا ولكنها دعت حالة ونسيت الأخرى كأنا لم تكن. بل قد تنقسم الشخصية إلى أربع أو خمس شخصيات يكون المريض في واحدة منها رحيماً وفي الأخرى قاسيا وفي ألثالثه كريماً وفي الرابعة لئيماً بل قد تتغير – بين واحدة وأخـرى – مذاهبـه ومعتقداته بل خطة نفسه قد تتغير أيضاً.

ومن ذلك ما يعرف بالوساطة حيث تتلبس الوسيطة شخصية أخرى يحمل إجاباتـا إلى السائلين وهو في الحقيقة يعبر عن آلامه وأمراضه متأثرا بعقائده وآراء عصره.

ومن ذلك أيضاً الانحلال الكلى للشخصية حيث يعتقد المريض (المصاب بالـشلل الكلى مثلاً) أنه اثنان ويحس باثنينيته إحساسنا بوحدتنا وبما حكى عن أحـد المـصابين بالانحلال الكلى أنه حرك يده ليسرى ثم أوقفها بيمناه وضربا كأنه يعامل شخصاً غريبا.

نظرية الشخصية

نعلم أن حالات " الأنا " كثيرة " والأنا " واحد فكيف نفسر ذلك ؟ أجابت مدرسة بأن الأنا جوهر ثابت واحد مميز عن الجسم وعند بعضهم أنه مميز أيضاً عن الحالات التي تعيره. فكيف إذا نعرف هذا الجوهر ؟ وهنا نجد إجابتين لنظريتين مختلفتين.

النظرية الروحية: فديكارت يقول أننا نعرفه بالبداهة لأنه بالبداهة أعرف أنى كائن ماهيته الفكر ومن هناك قوله المعروف " أنا أفكر فأنا موجود" أما ريد وفكتور كوزان وجانيه فيقولون أننا نعرف النفس بقياس عقلي وكما أن كل فعل يفرض فاعلاً وكل صفة تدل على موضوع كذلك حالات النفس تدل عليها ويلاحظ أنم جميعاً اهتموا بمعرفة وجه واحد للنفس وهو الجوهر الواحد الذاتي ولكن للنفس وجه آخر عنى به عناية خاصة علماء محدثون كبرجسون ووليم جيمس وهو ذلك الوجه المتغير والمستمر الحركة والتقدم وكذلك لم يبينوا علاقة الظاهرات النفسية بالجوهر الواحد وديكارت نفسه يقول أننا لا نعرف الجوهر إلا عن طريق صفاته أي أن معرفته عن طريق مباشر غير ممكنة.

النظرية التجريبية: أما هذه النظرية أيضاً فجل اهتمامها موجه إلى الحالات المتغيرة التي تعبر النفس واعتبر أصحابا الشخصية مجموعة فقال دافيد هيوم أن النفس هي الحالات المتتابعة المرتبطة بقانون العلية وهو نفس ما ذهب إليه ستيورات ميل يقول كوندياك – فيلسوف المذهب الحسي - أن النفس هي مجموعه الاحساسات التي يعيها الشعور مضافاً إليها ما تمدنا به الذاكرة. وهو رأى تين أيضاً. ونستطيع أن نقول في هذه النظرية ما قلنا في السابقة مع اعتبار الفارق وهو أنا اهتمت بالوجه المتغير المتعدد من النفس وأهملت الوحدة الثابتة.

العوامل المكونة للشخصية

العامل العضوي: الوحدة العضوية لجسم الإنسان أساس – وأن لم يكن كافيا وحده – فهو ضروري جداً للتعريف بالشخصية فالوحدة الطبيعية أس الوحدة النفسية، وفي الحالات التي يكون إحساسنا بوحدة الجسم ناقصاً يكون إحساسنا بالوحدة عموماً غامضاً أضف إلى ذلك أن الحياة الوجدانية وهي تترجم في الغالب عن تأثرات عضوية من أهم ما يكون شخصيتنا لأننا نحس بفرديتنا عن طريق عواطفنا أو أكثر ما نحس بها عن طريق

الفكر. بل يذهب البعض إلى حد القول بأن الاحساسات أو أحساسات الحركة هي كل أساس للشخصية ويقول الأستاذ ريبو أن أي احتلال في هذا الأساس يصحب باضـطراب في الإحساس بالشخصية.

العامل الاجتماعي: وللمجتمع دور مهم في تكوين الشخصية وهل الشخـصية إلا ميول وعواطف وأفكار وأي شيء من هذا لا يتأثر في كثير أو قليل بالتمع ؟ هذا أقل ما يقال لأننا لا نريد أن نقول مع الاجتماعيين بأنا جميعاً اجتماعية في المنشأ والماهية. ومـا يساعد بشكل واضح على تميز الشخصيات تعقد التمع وتعدد أنواعه وانقسام العمل فأن هذا كله يعمل على خلق نماذج مختلفة غاية الاختلاف في الـسلوك والـرأي والعاطفـة وليست الشخصية إلا هذا.

العامل النفسي: على أنه لا يمكن إنكار ما للنفس من شأن كبير في صنع الشخـصية بل نحن نتوهم كثيرا أننا نخلق أنفسنا خلقاً وأن كل مالنا من صفات واستعدادات هو نتاج لإرادتنا وهو وهم له ما يبرره لأن كل ما نأتي من أفعال نحس بداهة أن أرادتنا هي الـتي توجهه وتثابر عليه وتتصرف فيه وأن عقلنا هو الذي يمهد له السبيل السوي يبتكـر لـه الوسائل النافعة وأن عواطفنا هي التي تمدنا بالقوة والصبر، فجميع ملكاتنا النفسية تلعـب دوراً هاماً في تكوين شخصيتنا.

فالشخصية كما ترى عالم صغير ينطوي فيه عالم كبير هو كل ما يحيط بنا من جسم ونفس ومجتمع.